ثَرْوَت أَبَاظَة

□ ابن الباشوات الذي جسَّد نبضَ البُسَطاء

○ الباشوات لم يكونوا طبقة منفصلة عن الشعب

○ مـن يداعب الجنس ليبيع كتبه قـوَّاد.. ومن يداعب الإلحاد كافر

○ احترف الكتابة، وهو في السادسة عشرة من عمره

○ ٤٠ تمثيليـة إذاعيـة و٤٠ قصة قصـيرة، و٢٧ رواية طويلة في سجل إنتاجه الأدبي

○ لم يكـن في مصـر طبقـات سـوى الأسـرة المالكة بسبب غبائها

كثيرة هي المرات التي جمعتني فيها لقاءات مع الكاتب الكبير الراحل "ثروت أباظة"، التقيت به أديباً متميزاً، ووكيلاً لمجلس الشورى، واحتفظت في أرشيفي بالعديد من الحوارات والصور التي تبدو للوهلة الأولى نابضة بالحيوية وعامرة بالأحداث المهمة، وبمحطات كثيرة وقف عندها قطار حياته الزاخرة بالمواقف والإنجازات.

لم يعش «ثروت أباظة» طفولة ناعمة مثلما يتخيل البعض باعتباره سليل العائلة الأباظية الأرستقراطية، لكنه كما قال لي قد عاش طفولة جادة خشنة لدرجة أنه لم يكن يتذكر مشاهد من هذه المرحلة سوى مشاهد الدروس الخاصة التي كان يحصل عليها، وهو في الخامسة من عمره، وفي مدرسة الروضة الابتدائية التي التحق بها في مرحلة الروضة التي تسبق المرحلة الابتدائية راح الأديب الكبير «كامل الكيلاني» صديق والده يقدم للطفل «ثروت أباظة» بعضاً من كتبه، ولم يكن قد تجاوز الثامنة من عمره، وفي إحدى الزيارات قدم «كامل الكيلاني» للطفل الصغير عشرة كتب دفعة واحدة، فتلقاها بسعادة غامرة، وانفرد بها في إحدى الغرف وانبطح على الأرض يقرؤها في نهم وسعادة، والغريب أنه لم يغادر غرفته إلا بعد أن فرغ من قراءة كل الكتب العشرة !.

تاريخان للميلاد

تاريخ الميلاد الرسمي لثروت الثابت في بطاقته وشهادة ميلاده هو ١٥ يوليو ١٩٢٧، بينما تاريخ ميلاده الحقيقي هو ٢٨ يونيه

١٩٢٧ ويرجع السبب في هذا الاختلاف إلى إصرار والده على عدم تسجيل محل ميلاده بالقاهرة، بل في قريته «غزالة الخيس» مركز الزقازيق بمحافظة الشرقية «معقل الأباظية» عائلته الشهيرة وهو ما يعكس ارتباط عائلته بالريف في الوقت الذي كان والده عضواً بمجلس النواب لمدة ثماني سنوات، وعين وزيراً في عشر وزارات، ولم يكن إعجاب «ثروت أباظة» بوالده إعجاباً عادياً بل إن هذا الإعجاب قد تجاوز كل الحدود؛ فقد كان المُناخ الذي تربى فيه «ثروت» مناخاً جاذباً للثقافة والمثقفين، فلم يكن بيت العائلة يخلو من هؤلاء، وقد تمكن برعاية والده الشاعر الكبير «دسوقي أباظة» من إتقان اللغة العربية إتقاناً نادراً ما كان يتوفر لمن في مثل عمره. وظل «ثروت أباظة» في تحصيل العلوم الثقافية في نفس الوقت الذي كان يدرس فيه بكلية الحقوق حتى حصل على الليسانس من جامعة القاهرة عام ١٩٥٠.

هاربٌ من الأيَّام

بدأت مرحلة الإنتاج الأولى عند «ثروت أباظة» وهو في سن مبكرة حيث مارس الكتابة، وهو لا يزال في السادسة عشرة من عمره، حيث كتب القصة القصيرة، والتمثيلية الإذاعية حتى اشتهر اسمه مؤلفاً إذاعياً، ليتجه بعد ذلك لكتابة القصة الطويلة، وكانت قصته الأولى «ابن عمار» وهي قصة تاريخية قررتها وزارة التربية والتعليم فيما بعد لتدرس في مدارسها، ثم

كتب مسرحية بعنوان «الحياة لنا» لتبدأ مسيرته مع الإبداع والتألق ليقدم للمكتبة العربية سلسلة من الأعمال الخالدة من بينها «شيء من الخوف»، «ثم تشرق الشمس»، «الضباب»، «جذور في الهواء»، «أوقات خادعة»، «طائر في العنق»، «قصر النيل»، «أحلام في الظهيرة»، «بريق في السحاب».. وغيرها من الأعمال الأدبية التي تحول عدد كبير منها إلى أعمال سينمائية اشتهرت وحققت نجاحاً كبيراً.

وقد فازت روايته الشهيرة «هارب من الأيام» التي وصفت بدقة أجواء القرية والنوازع الإنسانية الخيرة والشريرة بجائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٩.

ويزخر سجل إنتاج الكاتب والأديب الكبير بعشرات الإبداعات، حيث كتب أربعين تمثيلية إذاعية و أربعين قصة قصيرة و سبعاً وعشرين رواية طويلة.

ويذكر أن الأديب الكبير «ثروت أباظة» قد عمل لسنوات في المحاماة بعد تخرجه في إحدى الشركات العقارية، كما تقلد العديد من المناصب الأخرى منها «رئيس اتحاد الكتاب»، «وكيل مجلس الشورى»، «سكرتير عام نادي القصة»، «رئيس القسم الأدبي بمؤسسة الأهرام»، «عضو بالمجلس الأعلى للثقافة».. وغيرها، كما حصل على جائزة الدولة التقديرية في الأدب من المجلس الأعلى للثقافة، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى وغيرها.

باشوات.. ولكنْ

أذكر أنني سألت الأديب الكبير ذات مرة عن رأيه في عصر «الباشوات» فضحك وقال: باشوات إيه يا أستاذ؟.. مفيش طبقة اسمها باشوات.. بل إنه في الحقيقة لم يكن في مصر «طبقات» باستثناء الأسرة المالكة لشدة «غبائها»، حيث ظلت محتفظة بلغتها التركية، وباللغة الفرنسية، ولم تحاول النزول إلى الشعب، أما هؤلاء الذين يطلق عليهم البعض لقب «باشوات» فهم أناس تعبوا كثيراً في حياتهم حتى حصلوا على لقب «الباشوية»، وكان أول باشا في مصر هو «محمد باشا سلطان»، و«سيد أباظة باشا»، ويومها قال الخديوي إنه يمنح الباشوية للفلاحين، من هنا فإن الباشوات لم يكونوا طبقة، ولم يكونوا أيضاً مفصولين عن الشعب، وعلى سبيل المثال أبي وأخي كانا من الباشوات لكن كان لكل منهما مواقفه الوطنية من الإنجليز، ومحاربة الاحتلال.

وعن عائلته العريقة «الأباظية» قال لي الأديب الكبير: إنها عائلة كبيرة من حيث الحجم، ومن ثم فإن فرص التفوق والتميز تتزايد فيها، إضافة إلى أن الأدب كان أحد الجينات، والدماء التي تجري في عروق عائلتنا؛ فجدي «سليمان باشا أباظة» كان شاعراً وهكذا كان معظم جدودي.

الحبُّ.. والخُلْع

وأتذكر مشـاغباتي مع الأديب الكبير، ومن بينها عندما سألته عـن الحب في حياته فيقول: الحب هو مظهر من مظاهر الحياة، أما المرأة فهي الأم والأخت والزوجة والابنة.. أنا مثلاً تزوجت عن حب؛ فزوجتي هي السـيدة «عفاف» ابنة شـاعر العربية والمسرح الكبير «عزيز أباظة»، ورزقنا بابنة تخرجت في كلية الآداب قسـم اللغة الفرنسية واسمها «أمينة»، وابن هو المستشار «دسوقي»، وقد سـعدت أنه قد ورث عني الشـرف في الكلمة، والصدق في القول، والفعل والوضوح والبساطة.

وعندمـا سـألته عن رأيه في «الخلع» قال بـلا تردد: أنا أوافق علـى هذا النظـام؛ فهناك نسـاء كثيرات يتعرضن لضـرر الزوج وتعسـفه ونكرانه، بل وانحرافه أحياناً، ويتملكهم العناد فيتركون زوجاتهم معلقات بلا رحمة دون طلاق، لذا أعتقد أن الخلع مسألة إيجابية تماماً.

نعم للرِّقابة

ويؤمن «ثروت أباظة» بأن الكاتب موقف، وأن الكتابة رسالة، وذات يـوم قـال لي: أتحدى من يجدني قد كتبـت حرفاً واحداً يختلف مع قناعاتي، كذلك فإن حرية الإبداع لابد وأن يكون لها حـدود لأنه لا حرية بلا قانون وإلا أصبحت فوضى، ومن يداعب

الجنس ليبيع كتبه فإنه «قوّاد»، ومن يداعب الإلحاد فهو كافر. فحدود الأدب ألا تخدش حياء المجتمع، وحياء الناس، ودينهم وشرفهم وكرامتهم، من هنا فقد كان الأديب الكبير يحبذ وجود «رقابة» على الإبداع حتى لا تحدث فوضى.

قلبُ طِفْل

والأديب الكبير «ثروت أباظة» يُعد من أحد الرموز الأدبية البارزة؛ فهو بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من مكانة سياسية كبيرة اكتسبها من خلال اهتمامه بقضايا وطنه وأمته، كانت له أيادٍ بيضاء على مئات المبدعين سواء ممن اتفق أو اختلف معهم أيديولوجياً؛ فالمنصفون يعترفون بأن الرجل هو الذي ساهم بجهده المتواصل في إنشاء واستمرار اتحاد الكتاب، وأنه قد جلب له عشرات المزايا، ومن بينها العمل على تخصيص معاش لأعضاء الاتحاد، وتعديل مشروع قراره حتى أقره مجلس الشعب. والذين اقتربوا من الأديب الكبير الراحل حتى ممن خالفوه في الرأي يعترفون بأن الرجل الذي كان يجهر بآرائه في جرأة وحِدَّة كان يملك قلب طفل. ولا يمكن أن نغادر حديثنا عن الأديب القدير دون أن نتعرض للحملات الشرسة من الهجوم والنقد التي تعرّض لها من جرّاء هجومه المستمر على الشيوعيين والناصريين.. تلك المعارك التي خاضها برباطة جأش، ودون أن يتحول عن آرائه وأفكاره قيدَ أنملة، لكن الواقع الذي يتفق عليه الجميع هو أن

الرجـــل يعتبر علامة بارزة من علامات الثقافة العربية، وأنه قيمة إبداعيـــة لا يمكن تجاهلها، والحقيقـــة الأبرز هي أنه رغم انتمائه إلى طبقة «الباشـــوات» لكنه أجاد رســـم وتجسيد نبض البسطاء في رواياته بأكثر من قيامه بتصوير أبناء طبقته.

مع الرئيس
حسنى مبارك

قبلة مع نجيب محفوظ

لقطة عائلية

الابن والحفيدة

لقطة الزفاف

مع ابنته